الرّيف والمدينة

يعجبني في الريف بساطة العيش يعيش الناس كما كان يعيش آباؤهم الأولون في أكواخ من الخُصر، لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم، وغنيهم وفقيرهم، ويلبسون لباسًا ساذجًا، قريب الشبه بما كان يلبس آباؤهم، ويسبحون في البحر عراه، ويمشون على البر حُفاه؛ ملّوا المدنية وزخارفها، والحضارة وبهرجها، وهربوا من المدن وضوضائها، والأرستقراطية وأوضاعها وتقاليدها وتعقيداتها، وارتموا في أحضان الطبيعة، فأفسحت لهم صدرها ينزلون إلى البحر فينفضون عنهم هموم الحياة، وينبطحون على الرمل، ويذكرون قوله تعالى: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ)

ليس فيها قصور شامخة بجانب أكواخ وضيعة، وليس فيها ثريات كهربائية بجانب أضواء زيتية أو غازية، ولا ملابس أنيقة بجانب أثواب مهلهلة؛ يصعب عليك التمييز فيها بين الغني والفقير، والعالم والجاهل، إلا في الآنسات والسيدات، فهن يأبين إلا الظهور، والتمسك بالفروق، وإلا في أمثالهن ممن حليتهن لباسهم، وقيمتهم مظهرهم خلف فيها الناس وراءهم المخترعات الحديثة بجلبتها ورذائلها؛ فلا سيارات تصم الآذان بأبواقها، وتأنف الأنوف من روائحها، وتربك السائرين لسرعتها وكثرتها ،واضطراب ولا هاتف يرن في الهجير وفي منتصف الليل، فيوقظك من نومك الهادئ راديو يحمّلك رجاء تنوء بحمله، أو يصلك بثقيل ينغص عليك الحياة بحديثه؛ يسمعك اللطيف والسخيف، ويأبى عليك النوم أحوج ما تكون إليه، وأشد ما تكون ،الرغبة فيه؛ لأن جيرانك يأبون إلا أن ينتفعوا به كاملًا من بدء يمين شمال إلى سلام الختام؟

حياة حرة طليقة، وجو مفتوح، وهواء جديد دائمًا، لم تفسده الحضارة بدخانها وغازاتها، ولم تحبسه الأبنية الشامخة، ولم تحجزه الحيطان الأربعة؛ تتجدد النفس بتجدده، وتمتلىء نشاطًا من نشاطه؛ يغذي كل خلية غذاءً حلوًا طيبًا، ويخلع على ،الجسم لونًا نجاشيًا ظريفًا، وينعش العواطف والروح، فهي قوية حادة، شديدة التنبه شديدة الإحساس؛ حتى عاطفة الدين، فهي أقوى ما تكون، وأطهرها ما تكون، وأصفى ما تكون، حينما تتجلى الطبيعة في ثوبها النظري الجميل، في السماء والماء والمزارع والحقول؛ فليس الإلحاد والزندقة، والتعصب الذميم، وضيق النظر، إلا وليد الحضارة المعقدة، والجو الخانق، والفكر الراكد، ودوران الفكر حول نفسه لا حول الطبيعة

في جو المدن لا يشعر الإنسان بالسماء إلا عند المطر، ولا بجمال الشمس، ولا جمال القمر؛ ولا يلمس الطبيعة إلا إذا ساءت من شدة الحر أو شدة البرد! كل ما حوله من جمال جمالٌ صناعي؛ قد استغنى بجمال طاقات الزهور عن الزهور في منابتها، وجمال الطبيعة، وجمال الخلقة؛ وهيهات أن يتساوى منتحَل وغير منتحَل، فليس التكحل في العينين كالكحل

إنما يشعر الإنسان بجمال الطبيعة يوم يخرج من المدينة إلى الريف ويَفر من الحضر إلى البدو، فينكشف له الخَلْق بجماله القشيب، وتأخذ بلبه السماء في لا نهائيتها، والبحار في أبديتها؛ ويشعر شعورًا قويًا بأنه ذرة من ذرات العالم، وجزء صغير من أجزائه، ضعيف بنفسه، قوي بكله، وأنه لا شيء يوم ينفصل عنه، وأنه نغمة من نغماته يوم يتصل به.

لوددت أني خلعت نفسي في المدينة يوم فارقتها، فقد سئمتُ نفسي وسئمتني ومللتها وملتني، وتمنيت أن تكون النفس كالثوب تخلعه حينًا، وتلبسه حينًا، ويبلى فتجدده، وتكرهه فتغيره؛ إذا لاستبدلت بنفسي— ولو إلى حين — نفسًا مرحة، تستغرق في الضحك من الشيء التافه، ومن لا شيء، ولا تبكي على ما فات، ولا تحمل همًا لما هو آت.

بل لتمنيت أن اكون كدودة القز تكون دودة حينًا، ثم تكون فراشة حينًا، أرشف من هذه الزهرة رشفة، ومن هذه رشفة، وأنشر جناحي في الشمس، أعيش في جمال وأغيب في جمال، كما تغيب الشمس الجميلة في الشفق الجميل، أو كما تفنى النغمة الحلوة في رنات الآلات، أو كما تنداح الابتسامة العذبة في الوجه الصبوح، أو كما تندمج الموجة العظيمة في البحر العظيم! ولكن أنَّى لي هذا؟ ولو كان لشكوت وبكيت.

وخرجت مبكرًا والناس نيام، أمشي على الشاطئ، وأرقب الشمس في طلوعها؛ والشمس على الساحل أجمل من الشمس على غيره، فليس لها تلك القوة العاتية، ولا الحرارة القاسية، ولا الأضواء المعشية؛ فيها شيء من الوداعة واللطف والحنان! ها هي ذي قد طلعت، فأخذت الحياة تدب في النفوس، تلقي أشعتها على البحر فينعقد منه سحاب فمطر فأنهار، فجميع ما لذلك من أعمال باهرة، وقوى ساحرة، وأفعال عجيبة؟ أنظر يمينًا فأرى النيل، وأنظر يسارًا فأرى البحر وقد عاد النيل إلى البحر بعد أن أتم دورته، وأدى مهمته؛ قد خرج هذا العذب الفرات من هذا الملح الأجاج،كما يخرج اللبن من بين الفَرْث والدم. قد سلسلوا النيل فعدا عليه البحر فاغتصب مجراه، وأملح ماءه، ثم فكوا قيوده فاسترد حقوقه، وأراد أن ينتقم من أبيه،

فحاول أن يحتل شاطئه، ويحلي ماءه، ويعكر صفاءه، ثم ندم على العقوق فتاب وأناب، وإذا هما مؤتلفان، بينهما برزخ لا يبغيان

ثم تسطع الشمس، وودت أن تكون مذكرة في اللغة العربية، كما هي مذكرة فيما أعرف في اللغة الأوربية؛ لأنها تتزوج الأرض فتولدها ما شئت من أشكال وألوان وذكور وإناث، وكأن أشعة الشمس خمر معتقة تشربها الأرض فتنتشي وتبتهج، وتمتلىء قوة ونشاطا وحركة.

وتقع أشعتها على الطير فيسرح ويمرح ويتغنى، وتحل في قلب الإنسان فيهدأ روعه، ويذهب فزعه ويطمئن إلى حياته، وتتحرك إرادته، وتنتعش آماله دعني أتعرّ، فالعراء على الساحل مباح، فأملأ جسمي بأشعتها، وأملأ شعوري ودمي بقوتها، وأملأ نفسي بعظمتها وسحرها

نص لأحمد أمين

3- الشحرير:

أرغبُ دوما في التعرّف إلى مدن العالم المختلفة ، إمّا عبر السفر متى أتيحت لي الفرصة أوعبر تصفح الكتب و المجلات أو متابعة البرامج التلفزيّة الثريّة .

وقد شاهدتُ برنامجا حاز إعجابي عرّفنا بمدينة طوكيو اليابانيّة .

افتُتح البرنامجُ بتقديم مشوّق لهذه المدينة فهي أكبر مدينة في اليابان و عاصمة البلاد منذ سنة ألف و ثمانمائة و ثمان و ستّين و هي أيضا المركز السياسيّ و الاقتصاديّ و الثقافيّ للبلاد .

لقد نمّت هذه الكلمات في نفسي توقا لمعرفة المزيد عن هذه العاصمة العريقة.

بدأت العدسة تجول في الأرجاء فبدت المدينة ممتدّة شاسعة الرّحاب ، يشدّ انتباهك معمارها المتنوّع و أشغال البناء الدّائبة التي لا تهدأ لها حركة البتّة كأنّك إزاء خليّة نحل نشيطة كلّ النّشاط. و متى جُلتَ ببصرك رأيت الأحياء الحديثة ببناياتها الشاهقة تنتصب أمامك تكاد تلامس عنان السماء حتّى لتخالها حقا ماردا من المردة ... لكنّك ما إن تتخطّاها وتوغل في المدينة حتّى تتغيّر الصورة أمام عينيك تغيّرا كليّا فيتحوّل الاتّساع إلى ضيق ويصبح العلوّ انخفاضا و الحديث عتيقا حتّى لتتوهّم أنّ عدسة المصوّر قد أخطأت القصد إذ تمتدّ أمامك على ضفاف نهر " سوميدا" أحياء المدينة العتيقة و المباني الصّغيرة المتواضعة و المعابد و الأبنية الخشبيّة .وولجت العدسة حيّا شعبيّا يدعى " أساكوسا " فبانت شوارعه الضيّقة المتعرّجة تنتشر عبرها دكاكين الحرفيين وتنشط تجارة المصنوعات التقليديّة الكبرى ..

إلاّ أنّك تفتن بعد هذه المشاهد المتنوّعة و العمران الزّاحف حين تكتشف ما تزخر به المدينة من متنزّهات شاسعة و مساحات خضراء بديعة تغريك بالتنزه فيها سواء في قلب المدينة النابض على الدوام أو على ضفاف النهر حذو الأحياء الشعبيّة العامرة ...

و إنّك لتزداد بالمدينة إعجابا و لصبر أهلها إكبارا متى علمت قصّة التحدّي و الإصرار و العناد ، فهذه المدينة الصامدة و ما فيها من مبان متراصّة و شوارع منظّمة و حدائق منسّقة تعرّضت مرارا للدّمار بسبب الحرب و الزلازل و الحرائق المتكرّرة ، فقد دكّ زلزال عظيم عام ألف وتسعمائة و ثلاثة و عشرين أكثر من نصف مباني المدينة ... غير أنّ هذه العوامل كلّها ما أثرت البتّة في أهلها ، فهم قلبها الخفّاق و روحها النابض ، فقد نفخوا في المدينة أنفاس الحياة و بنوها بوتيرة سريعة فحركة البناء و التعمير و التجديد الدائبة تعلن عن حقائق هذه الأمة وعناصر حياتها و تكشف أخلاقها و عقليّتها ، إنّها حكاية تحدّ و إصرار ، انتصر فيها هؤلاء البشر بما لديهم من صبر و عزيمة و علم و معرفة على جبروت الطّبيعة فالمباني الحديثة فوق أرض هذه المدينة بنيت من مواد قادرة على تحمّل الزلازل و الوقوف أمامها وقفة الأبطال العظام . والنّاس في جيئة و ذهاب تستقبلهم الخطوط الحديديّة و البريّة و الجويّة و الطرقات السريعة المعلّقة على الجسور استقبالا لا يعرف هوادة فسكان المدينة وحدها يفوق عددهم الثلاثين مليون

نسمة يضاف إليهم كلّ يوم ما يقارب مليوني مسافر من أصقاع العالم كله : تيار من البشر يسعى كلّ يوم يتدفق تدفق نهر نابض بالحياة .

إنّ هؤلاء يكابدون دون شك مشاقّ الازدحام لكنهم يسيرون و قلوبهم مفعمة بالأمل يحدوهم حبّ العمل و الرغبة المتجدّدة في التطوّر و الرقيّ فهم نموذج إنسان يُقدمُ على الحياة لا لكي يعيش حبيس ماضيه و مخاوفه بل ليمضي بعزيمة فولاذيّة لا شغل له إلا أن يعمل و يطوّر ذاته ووطنه فالمدينة زاخرة بالأنشطة الثقافيّة التي يُقبلُ عليها الناس إقبالَ ضمآن على نبع ماء عذب فمن العروض الموسيقيّة بأنواعها المختلفة إلى العروض المسرحيّة التراثيّة و الحديثة إضافة إلى المهرجانات الكثيرة و المتاحف العامرة و المكتبات الشهيرة ....

انتهى البرنامج و استفدت منه أنّ المدينة حقا تثير الإعجاب فالحياة فيها سريعة مرهقة لكنها ثريّة بتنوّعها و بما تحويه من فرص الترفيه و التثقيف .

تركت التلفاز شاكرا فضله و أنا شيّق النفس لزيارة هذه المدينة العظيمة كما أحسست بمسؤوليّة الجيل الجديد في النسج على منوال هذه المدينة و أهلها لما لديهم من روح الابتكار و التحدي والإصرار.

إصلاح الموضوع الثاني :

1- تفكيك الموضوع :

أ- المعطى : - الأحداث : - اللقاء بقريب يعمل بمنطقة ريفيّة - حديثه عن حياة الريف و اختلافها عن حياة المدينة .

ب – المطلوب : * نقل أقوال القريب و فيها وصف : أ - لوداعة الحياة في الريف

ب - مظاهر اختلافها عن المدينة .

* موقفك من حديث القريب .

2- التصميم :

أ - المقدّمة : - سرد : المكان و الزمان /- لقاء القريب (تقديم الشّخصيّة حسب مقتضيات الموضوع) /- مناسبة الحديث .

ب- الجوهر: *العنصر الأوّل : نقل أقوال القريب : - نمط الكتابة : وصف .

1- الموصوف: الريف. العناصر الموصوفة : أ- الطبيعة : - الحقول ، الزرع ، الشجر ، الهواء النقيّ ،أهازيج الرعاة (استعمال الحواسّ في الوصف : البصر ، الذوق ، الشمّ ، السمع ، الشمّ)

ب- المعمار : - المنازل (حجمها ، موقعها .....)

ج- الناس : النشاط ، حبّ الأرض ، التعاون (دور المرأة في الريف) .

← الحرص على استعمال أساليب التشبيه و صيغ التفضيل في الوصف لإبراز إعجاب الواصف بالموصوف + إنهاء الفقرة بوصف مجمل يؤكد وداعة الحياة في الريف و إعجاب السارد بها مع الحرص على التدرج نحو وصف المدينة .

2- الموصوف : المدينة (التركيز على مظاهر اختلافها عن الريف)

← ترتيب العناصر الموصوفة حسب العنصر الأوّل : أ - تقلص المشهد الطبيعيّ / زحف العمران ، المباني المتلاصقة .....

ب- مظاهر التلوّث : - الضجيج : (المحركات ، المنبهات ، الأغاني الصاخبة .....)/ - الهواء الخانق ...

ج- الناس : الحياة اللاهثة ، الاستهلاك ...

← استعمال أساليب متنوّعة تبرز نفور الواصف من الموصوف + استعمال أسلوب التقابل للتأكيد على الاختلاف بين حياة المدينة و حياة الريف (مثال : النعيم≠ الجحيم / الخير ≠ الشرّ / السعادة ≠ التعاسة ...)

* <u>العنصر الثاني :</u> موقف السارد : - موافقة رأي القريب + إنصاف المدينة بذكر بعض مباهجها ...- التكامل بين الريف و المدينة (التشبيه : كجسد واحد ..)

<u>ج- الخاتمة :</u> ردّ القريب على موقف السارد .

3- التحرير :

حلّ عيد الفطر في جوّ عائليّ بهيج زاده رونقا توافد الأقارب و تبادل الأحاديث الطلية معهم وكان ابن عمّي من أحبّ الزائرين إلى قلبي فهو شابّ في مقتبل العمر أتمّ دراسته الجامعيّة وعيّن مدرّسا في منطقة ريفيّة .و ما إن استفسرته عن ظروف عمله حتّى انبرى يمدح الرّيف مدح العاشق المتيّم مؤكدا أنّ الحياة في ربوعه أبهى و أجمل من حياة المدن الصاخبة .

وقد قال بلهجة فيها حماس : لقد أنعم الله على الريفيين بطبيعة خلابة فالأراضي الشاسعة ممتدّة على مرمى البصر حرّة طليقة وتقف فيها الأشجار على أبهى صورة فتبدو أجمل من الصنايا و أرقّ من النبع تمتدّ أغصانها بثمار طيّبة كما تمتدّ يد رجل سخيّ بالعطاء و الخير . هناك يداعبُ أنفك العبيرُ الشذيّ يتصاعد من أديم الأرض المرتوية أو ينتشر من روائح الزرع الفتيّ فلا تشمّ إلا الهواء الصافيّ النقيّ و لا تنصت إلا لثغاء القطيع أو زقزقة الطيور الجذلى التي

تنعم حقا بحريّة ثمينة فلا عمارات تزاحمها و لا مصانع تخنقها فالمنازل متباعدة متفرّقة حتى يخيّل إليّ أنها ممالك خاصّة بأهلها رغم ما يَسِمُهَا من بساطة البناء و تواضعه .ولهذه البساطة صدى في أهل الريف قدابهم النشاط و الحيويّة ينهضون مع خيوط الفجر الأولى يؤنسهم صياح الديكة المبشر بيوم جديد حافل بالأمل ، يسعون نحو حقولهم ، نساء و رجالا ، ووجوههم كوجه العابد يُتمّمُ أقدس فروضه ،ينحنون على أراضيهم فترى في انحناءتهم حنوّ أمّ على رضيع، قلوبهم مفعمة بالأمل و الطيبة ، راضون بالموجود يتحدّوْنَ قسوة الطبيعة متى قتّرت و شحّت ويسعدون بها متى أنعمت و تفضّلت ...وهذه الشمائل الطيبة تجدها لدى الكبار و الصغار أيضا فمشهد الصّبية و هم يحتضنون محافظهم و يسيرون مسافات حتى يصلوا المدرسة، باب العلم و النور، يزيدني بهجة و إعجابا ...

إنها حياة صافية نقيّة ، يحرّك صفاؤها من كدر المدينة اللاهثة على الدوام .فما إن تطأ قدماي أرض المدينة حتى ينقلب المشهد أمامي كلّ الانقلاب فيصدمني النشاز الشامل الزاحف من خلال المباني الكثيرة المتزاحمة كأنها في خصام لا يعرف الهوادة ، تتعالى و تتشامخ في صلف و تجبّر حتى تخال نفسك أمام إنسان امتلأ قلبه تكبّرا و غرورا ينظر إليك من عل نظرة المستهزئ المحتقر. أمّا الشوارع فقد عجزت رغم اتساعها عن استقبال السيل الجارف من السيارات والشاحنات التي تصمّ الأذان بمحرّكاتها الهادرة و منبّهاتها الغاضبة التي تتآمر على إحياء حفل صاخب يزيده صخبا ما ينشب بين هذا السائق و ذاك فهذا يصرخ محتجّا و ذاك يخترق صفوف السيارات بدرّاجة عملاقة تصدح بصوت مرعب و تزيد الهواء سوادا بما تنفثه من دخان . فيخوض المرء مكرها صراعا مرّا مريرا يسعى فيه ليلتقط بعض هواء نقيّ لكنه لن يحضى البتة بمبتغاه فالهواء أسود خانق ثقيل و الناس في نشاط محموم يحملون وجوههم المرهقة و ينظرون بعيون باهتة كأنّ الدخان المتصاعد سرى في أبدانهم كما يسري مخدّر مرير في جسد أنهكه المرض . وهم مع ذلك يتهافتون على البضائع المختلفة تهافتا شنيعا فحيثما وليت وجهك وجدت الناس في بيع و شراء يقتنون من البضائع ما يحتاجون وما يزيد عن حاجتهم كمن أصابته حمّى الاستهلاك .

لقد عشت في المدينة سنين ولم يتكشّف أمام ناظريّ وجهها البشع إلا حين فتح لي الريف أحضانه برفق و حنوّ . فالريف عندي هو النعيم و الخير و البساطة و السعادة أمّا المدينة فأشبه بجحيم ملأه الشرُّ و التعقيد و التعاسة . فما أمتع حياة الريف و ما أمرّ حياة المدن !

راقني وصف ابن عمّي للريف و مفاتنه لكني عاتبته لما سمعت منه من ظلم للمدينة وأهلها فهي موطن الجدّ والعمل كالريف تماما و لاغنى لأحدهما عن الآخر كأنهما أعضاء بدن واحد . وإن تميّز الريف بنقاء أجوائه ومشهده الطبيعيّ البديع فالمدينة تمنح بسخاء أهلها و ضيوفها مباهج كثيرة ففيها وسائل الترفيه المتنوّعة وسبلُ التثقيف اليسيرة .

ابتسم قريبي بعدما سمع رأيي ابتسامة رأيت فيها اعترافا بأنّ افتتانه بحياة الريف جعله ناكرا لفضل المدينة التي تشبه حديقة تنبتُ فيها ورود بهيّة ألوانها مختلفة و روائحُها متنوّعة .